﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨﴾ [الكهف: 108]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لما قَبْلَها:

تمامُ السُّرورِ بالنَّعيمِ دوامُهُ وتواصلُه بلا انقطاعِ

لمّا ذكرَ ﷻ في قولِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾ أنَّ جنّاتِ الفِرْدوسِ نُزُلٌ لأهلِ الإيمانِ والعملِ الصّالحِ - عقَّبَ في هذه الآيةِ ببيانِ أنَّ إقامتَهم في هذه الجنّاتِ أَبَديَّةٌ، وذلكَ مِنْ تمامِ السُّرورِ وقُرَّةِ العَيْنِ بالنَّعيمِ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَا يَبۡغُونَ﴾: (بغي) أصلانِ؛ أحدُهما: جنسٌ مِنَ الفسادِ، والثّاني: طلبُ الشَّيءِ، فمِنَ الأوَّلِ قولُهم: بَغَى الجُرْحُ، إذا تَرامَى إلى فسادٍ، ومِنَ الثّاني قولُكَ: بَغَيْتُ الشَّيءَ أَبْغيه، إذا طلبتَهُ، ويقالُ: بَغَيْتُكَ الشَّيءَ، إذا طلبتُهُ لكَ، والبُغْيةُ: الحاجةُ[1]، وأبغَيْتُكَ: أَعَنْتُكَ على طلبِهِ، والابتغاءُ: الاجتهادُ في الطَّلبِ، فمتى كانَ الطَّلبُ لشيءٍ محمودٍ فالابتغاءُ فيه محمودٌ، نحوُ: ﴿ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ﴾ [الإسراء: 28][2]، ومعنى قوله تعالى: ﴿لَا يَبۡغُونَ﴾: لا يُريدونَ، لا يَطلُبونَ.

2) ﴿حِوَلٗا﴾: (حول) أصل يدل على تحرُّكٍ في دَوْرٍ[3]، وعُدول جِرْمِ الشَّيءِ عن مكانِه أو اتِّجاهِه المعتادِ[4]، وتغيُّرِ الشَّيءِ وانفصالُهُ عن غيرِهِ[5]، فالحَوْلُ: العامُ؛ لأنَّهُ يَحولُ، أي: يَدورُ، ويقالُ: حالَتِ الدّارُ وأحالَتْ وأحولَتْ: أتى عليها الحَوْلُ، وأحوَلْتُ بالمكانِ، وأَحَلْتُ: أقمتُ به حَوْلًا، وحالَ الشَّخصُ يَحولُ، إذا تحرَّكَ، وكذلكَ كلُّ مُتحوِّلٍ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بغي).
(2) الراغب، المفردات: (بغي).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حول).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي: (حول).
(5) الراغب، المفردات: (حول).

عن حالةٍ[1]، وحوَّلتُ الشَّيءَ فتحوَّلَ: غيَّرتُهُ إمّا بالذّاتِ، وإمّا بالحُكمِ والقولِ، ومنهُ أَحَلْتُ على فلانٍ بالدَّينِ، والحَوْلُ: ما للإنسانِ مِنَ القوَّةِ في حالةٍ بالنِّسبةِ إلى تغيُّرِه في نفسِه وفَنائِهِ[2]، وقولُهُ ﷻ: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾، أي: تحوُّلًا[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

لا مَطْمَحَ لنفوسِ أهلِ جنّاتِ الفِرْدوسِ في غيرِها

يُخبِرُ اللّهُ ﷻ عن حالِ أهلِ الإيمانِ والعملِ الصّالحِ بأنَّهم يكونونَ مقيمينَ ساكنينَ في جنّاتِ الفِرْدوسِ، لا يَظْعَنونَ عنها أبدًا، ولا يختارونَ غيرَها، ولا يُحِبّونَ سِواها؛ لأنَّها جمعَتْ كلَّ حُسْنٍ، وحازَتْ كلَّ وصفٍ[4].

وترشدُ الآيةُ الكريمة إلى تمام نعيم أهل الجنة، وأنَّ فيها النعيم الكامل، ومن تمامه أنه لا ينقطع، ولا يرون نعيمًا فوق ما هم فيه[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

سر التقييد بالحال ﴿خَالِدِينَ﴾:

أثر الحال في الإبانة عن مصير المؤمنين إلى خير مآل

﴿خَالِدِينَ﴾ في قولِه ﷻ: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حالٌ مُقدَّرةٌ[6]، أي: مُقدَّرًا خُلودُهم فيها، وذو الحالِ الضَّميرُ المجرورُ في ﴿كَانَتْ لَهُمْ﴾[7]، وقد ذكر الخُلودَ في قولِه تباركَ شأنُهُ: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾؛ لأنَّ خُلودَ النَّعيمِ في الآخرةِ يُميِّزُهُ عن نعيمِ الدُّنيا، كما أنَّ نعيمَ الدُّنيا يأتي على قَدْرِ تصوُّرِنا في النَّعيمِ وعلى حسَبِ قدراتِنا، وحتَّى إنْ بلَغْنا القِمَّةَ في التَّنعُّمِ في الدُّنيا فإنَّنا على

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حول).
(2) السمين، عمدة الحفاظ: (حول).
(3) الراغب، المفردات: (حول).
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 204.
(5) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 488.
(6) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 295.
(7) ابن التمجيد، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 178.

خوفٍ دائمٍ مِنْ زوالِهِ، فإمّا أنْ يتركَكَ النَّعيمُ، وإمّا أنْ تتركَهُ، وأمّا في الجنَّةِ فالنِّعمةُ خالدةٌ، لا مقطوعةٌ ولا ممنوعةٌ، وأنتَ مُخلَّدٌ فيها، فلن تتركَكَ النِّعمةُ، ولن تتركَها[1].

معنى حرفِ الجرِّ ﴿فِيهَا﴾:

جنّاتُ الفِردوسِ مكانُ الخُلودِ، وموئلُ العبادِ للنّعيمِ غيرِ المحدودِ

يدلُّ حرفُ الجرِّ ﴿فِيهَا﴾ في قولِه تعالى شأنُهُ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ على الظَّرفيَّةِ المكانيَّةِ، ويفيدُ أنَّ جنّاتِ الفِرْدوسِ هي مكانُ خُلودِهم وتلذُّذِهم بألوانِ النَّعيمِ.

دلالةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ المنفيِّ في ﴿لَا يَبْغُونَ﴾:

بيانُ استمرارِ انتفاءِ طلبهم في التحول

مَنْ حَظيَ بالنَّعيمِ المُقيمِ، لا تُنازِعُهُ نفسُهُ إلى التَّحوُّلِ والزَّوالِ عنهُ، ولذلكَ جيءَ بالمضارعِ المنفيِّ، في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾؛ لبيانِ أنَّ الَّذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصّالحاتِ بعدَما منَّ اللهُ ﷻ عليهِم بالنَّعيمِ والخُلودِ، يستمرُّ انتفاءُ رغبتِهم في التَّحوُّلِ والانتقالِ عمّا هم فيهِ، وهو مَحَلُّ السُّرورِ والحُبورِ وألوانِ المكرماتِ.

نكتةُ التَّعبيرِ بقولِهِ: ﴿لَا يَبْغُونَ﴾ دونَ (لا يبتغونَ):

الإيجازُ واختيارُ اللَّفظِ الأنسبِ بحالِ أهلِ الجنَّةِ

عُبِّرَ في قولِه جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ بـ ﴿لَا يَبْغُونَ﴾، ولم يُقَلْ: (لا يبتغونَ)؛ إيجازًا باختيارِ اللفظِ الأقلِّ حروفًا، ولأنَّ الابتغاءَ هو الاجتهادُ في الطَّلبِ[2]، وأهلُ الجنَّةِ لا يُتصوَّرُ في حقِّهم الاجتهادُ في طلبِ التَّحوُّلِ والزَّوالِ عمّا هم فيه ليُنفى عنهُم، ولذلكَ نُفيَ عنهُم أصلُ الطَّلبِ دونَ الاجتهادِ فيهِ.

الغرض من تقديمِ شبه الجملة ﴿عَنْهَا﴾ على ﴿حِوَلًا﴾:

ملمحُ الاهتمامِ والتَّشويقِ، ومراعاةُ الفاصلةِ، مفيدٌ في البيانِ

قُدِّمَ ﴿عَنْهَا﴾ على ﴿حِوَلًا﴾ في قولِه جلَّ وتباركَ: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾؛ للاهتمامِ بكونِ عدمِ طلبِهم مُتعلِّقًا بها، فإذا قيلَ: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا﴾ تشوَّقَ السّامعُ إلى معرفةِ الأمرِ الَّذي لا يبغونَهُ عنها،

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 15/ 9008.
(2) الراغب، المفردات: (بغي).

فإذا وردَ عليه بعدَ ذلكَ تمكَّنَ في نفسِه فضْلَ تمكُّنٍ، ولأنَّ في تأخيرِ ﴿حِوَلًا﴾ مراعاةً لتلاؤمِ فواصلِ الآياتِ.

بلاغةُ التَّعبيرِ بقولِهِ: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾:

التَّركيبُ مِنْ قَبيلِ الكنايةِ، وهو مسفر عن المعنى المراد

الحِوَلُ في قولِه تعالى: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾: التَّحوُّلُ، والظّاهرُ أنَّ المعنى: أنَّهُ لا مزيدَ عليها حتَّى تُنازِعَهم أنفُسُهم إلى أرفعَ منها، وهذه غايةُ الوصفِ؛ لأنَّ الإنسانَ في الدُّنيا في أيِّ نعيمٍ كانَ فهو طامحُ الطَّرْفِ إلى أرفعَ منهُ[1]؛ لأنَّ طولَ الإقامةِ قد يورِثُ السَّآمةَ، بل هم في غايةِ الرِّضا بها؛ لما فيها مِنْ أنواعِ المَلاذِّ الَّتي لا حصرَ لها ولا انقضاءَ، لا يشتهي أحدٌ منهُم غيرَ ما عندَهُ[2]، فيكونُ قولُهُ: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ كنايةً عن كونِها أعلى المنازلِ وأطيبَها عندَهم[3]، ويجوزُ أنْ يُرادَ نفيُ التَّحوُّلِ وتأكيدُ الخُلودِ[4]، كأنَّهُ قيلَ: خالدينَ فيها غيرَ مُتحوِّلينَ عنها[5]؛ فإنَّ عدمَ طلبِ الانتقالِ مُستلزِمٌ للبقاءِ، فيُؤكِّدُهُ[6].

علَّةُ التَّعريضِ في ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾:

طلبُ الكفّارِ الخروجَ مِنَ النّارِ مفاده أنَّ الشَّيء بالشَّيء يذكر

قولُهُ جلَّ شأنُهُ: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ فيه أنَّ المؤمنينَ لا يَبْغونَ التَّحوُّلَ عمّا هم فيه مِنَ النَّعيمِ وألوانِ المَلَذّاتِ، وهو تعريضٌ بالكَفَرةِ في أنَّهم يصطرخونَ في النّارِ ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ [المؤمنون: 107]، وذلكَ عكسُ ما كانَ في الدُّنيا مِنْ رُكونِ الكفّارِ إليها، ومحبَّتِهم طولَ البقاءِ فيها، وعُزوفِ المؤمنينَ عنها، وشوقِهم إلى ربِّهم بمفارقتِها[7]، فسُبْحانَ مُغيِّرِ الأحوالِ!

(1) الزمخشري، الكشاف: 2/ 750.
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 204، والبقاعي، نظم الدرر: 12/ 150.
(3) الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 6/ 139.
(4) الزمخشري، الكشاف: 2/ 750.
(5) ابن التمجيد، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 178.
(6) الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 6/ 139.
(7) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 149.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

البَغْيُ والابتغاءُ:

البَغْيُ يُستعمَلُ في الطَّلبِ، نحوُ: بَغَيْتُ الشَّيءَ: طلبتُهُ، ويُستعمَلُ في تجاوزِ الحدِّ، نحوُ: بَغَى الجُرْحُ: تجاوزَ الحدَّ في فسادِهِ، وأمّا الابتغاءُ فخُصَّ بالاجتهادِ في الطَّلبِ، ومتى كانَ الطَّلبُ لشيءٍ محمودٍ فالابتغاءُ فيه محمودٌ، نحوُ: ﴿ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ﴾ [الإسراء: 28][1].

البَغْيُ يُستعمَلُ في الطَّلبِ وتجاوزِ الحدِّ، والابتغاءُ خاصٌّ بالاجتهادِ في الطَّلبِ

(1) الراغب، المفردات: (بغي).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثلاثون،
سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 30 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-27-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 30 : المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-27-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725630 بتاريخ 2024/11/04م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»